

إهتمام الإسلام

وعنايته بالعلم والعلماء

للدكتور

عبد الرحمن جميل عبد الرحمن القصاص

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

من ٥٩٧ إلى ٦٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدكتور

د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قحاص

امتياز معتمد بطلبة الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم

المقدمة

الله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
والصلاة والسلام على رسول ربّ العالمين. وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله، وصفته وخليله، صلى الله عليه



وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد،،،

فإن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق أجمعين أمرهم سبحانه بعمارة
الأرض والعمل فيها، والاستجابة لهدى الله العظيم سبحانه: ﴿وَهُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ

الأرض واستعمركم فيها^(١). وقال العليم سبحانه: ﴿قُلْنَا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(٢). ومما تعمر به الأرض من قبل الإنسان العلم ونشره وتبليغه وتعليمه والاهتمام والعناية به، وبأهله العلماء الذين يفيدون البشرية، ويقودون الأمة، ويهتدي بهم العامي - بعد فضل الله تعالى ومنته - إلى سبيل النور، والخروج من أنفاق الظلمات.

ومن هنا وهناك جاء اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء، وقد توسع القرآن الكريم في تناول هذه القضية بكل أبعادها وتشعباتها مشيراً إلى طرق التعلم الصحيحة، دالاً على آثار العلم ونتائجه، مهتماً بالعلماء وأفضالهم على الأمة جمعاء.

وقد تمت يراعي ومددت نراعي، وتناولت قلبي وتناولت إلى قلبي كي اسطر بحثاً مشاركة مني في هذا الباب بعنوان: (اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم) أرجو من الله أن أصيب فيه الأجر والمثوبة والزلفى لديه، وإن أخطأت فيه المغفرة والعفو يوم العرض عليه.

أهمية الموضوع:

ولعل أهمية الموضوع تبرز من خلال المحاور التالية:

أ- يشرف عنوان هذا البحث وموضوعه لتعلقه بالكتاب الكريم، والقرآن الحكيم، كما شرف لتعلقه بالعلم والعلماء. (ويشرف الشيء بشرف متعلقه).

(١) سورة هود الآية (٦١).

(٢) سورة البقرة الآية (٣٨).

ب- نحن بحاجة إلى الدراسة المتخصصة في هذا الموضوع في ص ١٠٠
القرآن الكريم خصوصاً، حيث تناوله الكثير من جهات ومراجع ع ١٠٠
ولم يتركز حديث أكثرهم على آيات القرآن المجيد.

ج- بعد تأمل وتدبر كثير من الآيات الحكيمة وجد أن بعض موضوعات
العلم واهتمام الإسلام به وبأهله ما زالت بكراً لم تنزل بعد إلى واقع
الأمة الإسلامية.

د- اعتنى الباحث بمبحث خاص بعنوان: (قواعد علمية اعتنى بها الإسلام).
وهو يجمع أطرافاً عدة، وفروعاً متعددة في العلم وشؤونه الخاص
والعام، والأمة المسلمة بحاجة إلى هذه القواعد العلمية حيث حصر
فيها خلط بين مفاهيم صحيحة وسقيمة، وتقديم ما حققه التأخير أحياناً.
بناء على عناية بعض أفراد الأمة بجزء على حساب الأجزاء الرئيسة

خطة البحث:

اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وهي على ر

النحو التالي:

- مقدمة: (وهي هذه التي بين أيديكم).
- المبحث الأول: ماهية العلم وأنواعه.
- المبحث الثاني: منزلة العلم وموقعه في الإسلام.
- المبحث الثالث: مكانة العلماء في الإسلام.
- المبحث الرابع: قواعد علمية اعتنى بها الإسلام.
- المبحث الخامس: نماذج من أعلام علماء الإسلام.
- خاتمة.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم الحي القيوم الذي لا إله إلا هو أن
يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم سبحانه، وأن يزيدنا
علماً نافعاً، وأن يعيننا من العلم غير النافع. إنه سميع مجيب على كل شيء قدير.
وصلّى الله عليه وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وذريته.
والله تعالى أعلم

المبحث الأول

ماهية العلم وأنواعه

ماهية العلم:

في لغة العرب علمت الشيء أعلمه علما: عرفتّه. وعالمت الرجل فعلمته أعلمه (بالضم): غلبته بالعلم. ورجل علامة: أي عالم جدا، والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون به داهية.

واستعلمني الخبر فأعلمته إياه.

وعلمته الشيء فتعلم، وليس التشديد ههنا للتكثير، ويقال أيضا: تعلم في موضع اعلم، وتعلمت أن فلانا خارج بمنزلة علمت. ويعلمه الجميع: أي علموه^(١).

وقد اختلف الناس في العلم هل يدرك بالحد أم لا؟ فمن منع تحديده اختلفوا، فقال بعضهم: لا يحد لعسره. وقال آخرون: لا يحد ليسره^(٢).
وحد العلم عند العلماء والمتكلمين في هذا المعنى: ما استيقنته وتبينته، وكفى من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء، وقال به تقليدا لم يعلمه^(٣).

(١) تظر: الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح (٥/١٩٩٠، ١٩٩١: علم).

(٢) تظر: السمين الحلبي: أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/٥٨٠-٥٨٢: علم).

(٣) تظر: ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (٢/٧٨٧)..

فالعلم: إدراك الشيء بحقيقته^(١).

والعلم قد يتجوز به عن الظن، ودليله قوله تعالى ذكره: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٢)، كما يستعار الظن للعلم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^(٣).

والعلم اسم مشترك قد يطلق على:

- الإبصار والإحساس.
- أو التخيل.
- أو الظن.
- أو على علم الله تعالى.
- أو على إدراك العقل^(٤).

وجاء لفظ العلم في القرآن الكريم على ثلاث أوجه:

- ١- بمعنى الرؤية: قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾^(٥)، وقد علم سبحانه منهم قبل أن يجاهدوا من المجاهد منهم، فهو علم رؤية.

(١) انظر: الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات القرآن (مادة: علم).

(٢) سورة الممتحنة الآية (١٠).

(٣) سورة البقرة الآية (٤٦).

(٤) انظر: ساجلي زاده: محمد بن أبي بكر، ترتيب العلوم (ص ٨٤، ٨٥).

(٥) انظر: الغزالي: محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (١/٥٢-٢٧).

(٦) سورة محمد الآية (٣١).

- العلم بالشيء والظهور عليه: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾^(١).

- بمعنى الأذان: قال الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾^{(٢)(٣)}.

أنواع العلم وأقسامه:

لقد تنوعت فهوم أهل العلم، وتعددت جهات نظرهم نحو أنواع العلم وتقسيماته، وأحاول هنا أن أذكر جزءا لا بأس به من هذه الأنواع والتقسيمات.

أولا: تقسيمه على نوعين بحسب تعريفه:

١- إدراك ذات الشيء، وهو المتعدي إلى مفعول واحد نحو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٤).

٢- الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، وهو المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله تعالى ذكره: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٥).

ثانيا: العلم يقسم بتقسيم آخر إلى قسمين:

- نظري: وهو ما إذا علم فقد كمل، مثل العلم بموجودات العالم.

^(١) سورة لفظ الآية (١٩).

^(٢) سورة هود الآية (١٤).

^(٣) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (٢/٧٨٨/٧٨٩).

^(٤) سورة الأنفال الآية (٦٠).

^(٥) سورة الممتحنة الآية (١٠).

- عملي: وهو ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلم بالعبادات.

ثالثاً: وهناك من يقسمه إلى قسمين آخرين بحسب مصدره:

- عقلي.

- سمعي^(١).

رابعاً: ومنهم من قسمه بحسب فائدته إلى قسمين:

١- ما هو نافع: كالعلم بالقرآن الكريم وفنونه، والحديث الشريف وأنواعه، وعلوم العربية العملية، وعلم الطب، وعلم تأويل الأحكام وغير ذلك مما ينفع.

٢- ما هو ضار: كعلم الفلسفة والسحر وأحكام النجوم وغيرها مما يضر^(٢).

خامساً: وهناك تقسيم آخر للعلم بحسب حكمه إلى قسمين أيضاً:

١- ما هو شرعي: وهو ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا يبلغ بالسمع كاللغة وأنواعها.

٢- وما ليس بشرعي منه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- محمود: وهو ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا؛ كالطب والحساب.

ب- مأموم: كعلم السحر والطلسمات، والشعوذة والتلبسات.

ج- مباح: كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجوي مجراه.

(١) انظر: الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي، المواقفات (١٠٧/١-١٢١).

(٢) انظر: الغزالي، المستصفى من علم الأصول (٧٦/١، ٧٧).

والعلوم الشرعية محمودة كلها، وهي على أربعة أضرب:

١- الأصول: وهي الكتاب والسنة والإجماع وآثار الصحابة.

٢- الفروع: ما يفهم من هذه الأصول بالاستنباط ونحوه.

٣- المقدمات: وهي التي تجري منه مجرى الآلات؛ كعلم اللغة والنحو، فإنهما آلة لعلم الكتاب والسنة.

٤- المتممات: كتعلم القراءات ومخارج الحروف ونحو ذلك (١).

سادسا: والعلوم تنقسم إلى قسمين بحسب أصلها:

١- ضروري: وهو ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه نفسه، ولا يدخل فيه

على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر.

٢- مكتسب: وهو ما كان طريقة الاستدلال والنظر، ومنه الخفي والجلي،

فما قرب منه من العلوم الضرورية كان أجلى، وما بعد منها كان أخفى.

سابعا: والعلوم بحسب وجودها عند جميع أهل الديانات ثلاثة:

١- علم أعلى: وهو علم الدين.

٢- علم أسفل: وهو تدريب الجوارح في الأعمال والطاعات؛ كالفرسية والخطابة.

٣- علم أوسط: وهو معرفة علوم الدنيا؛ كعلم الطب والهندسة (٢).

ثامنا: وأختم بتقسيم أخير للعلم بحسب الأصول القطعية والظنية:

١- صلب العلم: وهو الأصل والمعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وهو ما

كان قطعيا أو راجعا إلى أصل قطعي.

٢- ملح العلم: وهو ما لم يكن قطعيا ولا راجعا إلى أصل قطعي، بل ظني.

(١) انظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (ص ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) انظر: الراغب، مفردات القرآن (ص ٥٨١).

٣- ما ليس من صلبه ولا ملحه: وهو ما لم يرجع إلى أصل قطعي، ولا ظني، وإنما شأنه أن يكر على أصل أو على غيره بالإبطال مما صح كونه من العلوم المعتبرة^(١).

(١) انظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ (١٣٦/٣).

المبحث الثاني

منزلة العلم وموقعه من الإسلام

لقد شاء الله تعالى واختار أن يكون للعلم منزلة عالية من ارفع درجات الدين، فانظر -يا رعاك الله تعالى- إلى هذه النصوص المتضافرة من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله المصطفى الأمين عليه الصلاة والتسليم التي تبين هذه المنزلة، وتوضح هذا الموقع للعلم - جعلنا الله تعالى وإياكم من أهله -.

نصوص قرآنية في بيان منزلة العلم:

- ١- قل الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾^(١). (فبدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثالث بأهل العلم)^(٢). وكل هذا ليستشهدهم على وحدانيته سبحانه وتعالى.
- ٢- وقال الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾^(٣)، (فالعمى وحده هو الذي ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التي لا تخفى إلا على أعمى، والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان: مبصرون فهم يعلمون، وعمى فهم لا يعلمون، والعمى عمى البصيرة)^(٤).

^(١) سورة آل عمران الآية (١٨).

^(٢) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (١/١).

^(٣) سورة الرعد الآية (١٩).

^(٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (٢٠٥٦/٤).

٣- قال الله العظيم سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، (والمراد بالعلم هنا: ما أدى إلى معرفة الله، ونجاة العبد من سخطه)^(٢).

أحاديث نبوية في بيان منزلة العلم:

- ١- عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٣).
- (قال بعض أهل العلم: إنما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القول التوحيد، وما يكون العاقل مؤمنا به)^(٤).
- ٢- عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «من يرد به خيرا يفقهه في الدين»^(٥).
- ٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له به طريقا إلى الجنة»^(٦).

(١) سورة الزمر الآية (٩).

(٢) انظر: أبا حيان الأندلسي، البحر المحيط (٤٠٢/٧).

(٣) حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني في الصغير رقم (٢٢)، والأوسط رقم (٢٠٢٩).

وانظر: كتاب تخریج مشكلة الفقر للألباني (ص ٥١-٦١).

(٤) انظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١٧٠/١).

(٥) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم (١٧، ٣١١٦، ٧٣١٢). وصحيح مسلم رقم

(١٠٣٧).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به بعده، أو ولد صالح يدعو له»^(١).
قال بعض الحكماء: (علم الرجل ولده المخلد)^(٢).

آثار عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى في بيان منزلة العلم:

- ١- قال مطرف بن عبد الله الشخير^(٣) رحمه الله تعالى: (فضل العلم أفضل من فضل العبادة)^(٤).
- ٢- قال قتادة بن دعامة السدوسي^(٥) رحمه الله تعالى: (باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول)^(٦).
- ٣- قال الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى: (ما عبد الله بمثل الفقه)^(٧).
- ٤- قال سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى: (ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية)^(٨).

^(١) رواه مسلم في صحيحه (١٦٣١).

^(٢) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (٧٣/١).

^(٣) هو مطرف بن عبد الله الشخير العامري الحرشي، أبو عبد الله البصري، ثقة عابد فاضل، من الثانية، مات سنة خمس وتسعين. انظر: تقريب التهذيب (٦٧٥١).

^(٤) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١١٦/١).

^(٥) هو قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال: ولد لكمة، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: التقريب (٥٥٥٣).

^(٦) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١١١/١).

^(٧) انظر: المرجع السابق (١١٩/١).

^(٨) انظر: المرجع السابق (١٢٤/١).

المبحث الثالث

مكانة العلماء في الإسلام

بعد حديثنا السابق عن منزلة العلم وموقعه في الإسلام من خلال بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى أستعرض وإياكم هنا شيئاً من النصوص والأحاديث والآثار التي توضح مكانة العلماء وأهل العلم وطلبتهم والمنتسبين إليه في الإسلام.

نصوص قرآنية في بيان مكانة العلماء:

١- يقول الله الأحد سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: (ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم)^(٢).

٢- قال ربنا الودود سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣).
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير)^(٤).

(١) سورة المجادلة الآية (١١).

(٢) رواه ابن المنذر. انظر: السيوطي، الدر المنثور (٨٣/٨).

(٣) سورة فاطر الآية (٢٨).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان (٤٠٩/١٠).

٣- قال العزيز الحكيم سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١)، والعقل هنا بمعنى الفهم؛ أي لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم، فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام^(٢).

أحاديث نبوية في بيان مكانة العلماء:

- ١- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^(٣).
- ٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، وزجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(٤).
- ٣- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، أو معلم أو متعلم»^(٥).
- ٤- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٣).

(٢) انظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥٦/١٠).

(٣) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم الحديث (٣٥٨٨، ٣٤٩٣، ٣٤٩٦). وصحيح مسلم (٢٥٢٦، ٢٦٣٨).

(٤) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري رقم الحديث (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦). وصحيح مسلم (٨١٦).

(٥) حديث صحيح، رواه الترمذي في سننه (٢٣٢٢)، وقال: (حسن غريب)، وابن ماجه (٤١١٢).

«فصل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(١).

آثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى في بيان مكانة العلماء:

- ١- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (موت العالم تلمة في الإسلام، لا يسده شيء ما اختلف الليل والنهار)^(٢).
- ٢ قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أتدرون ما ذهاب العلم؟ فلنا لا قال: ذهاب العلماء)^(٣).
- ٣ قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء)^(٤).

قال الشافعي: (إن لم يكن الفقهاء أولياء الله؛ فما لله ولي)^(٥).

^(١) حديث حسن، رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢)

^(٢) رواه الدارمي (٧٨/١).

^(٣) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (٢٣٦/١).

^(٤) انظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (٣٦/١).

^(٥) انظر: البهوي، شرح السنة (٣١٧/١).

المبحث الرابع

قواعد علمية اعننى بها الإسلام

في هذا المبحث سأعرض بإذن الله تعالى لما يسمى بالقواعد والأصول والضوابط والفوائد الجامعة، التي تنبني عليها كثير من التفريعات، وتتضم تحتها أكثر الجزئيات. وقد ركز القرآن الحكيم النظرة حول قواعد وأصول علمية تحتاجها الأمة بأفرادها وجماعاتها. وأحاول هنا أن أذكر كما هائلا من هذه القواعد والأصول العلمية بعد الاستعانة بالله تعالى.

القاعدة الأولى:

أن الله تعالى ذكره هو العليم الحقيقي الذي وسع علمه كل شيء، واختص بخصائص لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ومن النصوص القرآنية على هذه القاعدة:

- ١- قال الله العليم الخبير سبحانه: ﴿وكفى بالله علما﴾^(١).
- ٢- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾^(٢).
- ٣- وقال الله تعالى وشأنه: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾^(٣).
- ٤- وقال الله القدير سبحانه: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾^(٤).

(١) سورة النساء الآية (٧٠).

(٢) سورة الحجر الآية (٨٦).

(٣) سورة يس الآية (٨١).

(٤) سورة الأعراف الآية (٨٩).

- ٥- وقال الله العظيم سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).
- ٦- وقال الرب تعالى ذكره: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢).
- ٧- وقال الفتح العليم سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣). فبدأ سبحانه الآية بالعلم وختمها بالعلم.
- ٨- وقال العليم الحكيم سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤).
- ٩- وأنتى الله تعالى على نفسه ومدحها أثناء سرد قصة أصحاب الكهف بأنه ﴿أَعْلَمُ بِهِمْ﴾^(٥)، ﴿أَعْلَمُ بَعْدَتَهُمْ﴾^(٦)، ﴿أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾^(٧).

(١) سورة الطلاق الآية (١٢).

(٢) سورة الأنعام الآية (٥٩).

(٣) سورة لقمان الآية (٣٤).

(٤) سورة آل عمران الآية (٧).

(٥) سورة الكهف الآية (٢١).

(٦) سورة الكهف الآية (٢٢).

(٧) سورة الكهف الآية (٢٦).

وقد وصف الله نفسه سبحانه بأنه:

- ١- عالم في (١٥) موضعا من الكتاب الكريم.
- ٢- وعليم في (١٦٢) موضعا من القرآن.
- ٣- وعلام في (٤) مواضع.
- ٤- وأنه وسع كل شيء علما في (٤) مواضع أيضا.
- ٥- وأنه أعلم في (٤٨) موضعا.

القاعدة الثانية:

أن الأصل في الإنسان الجهل وعدم العلم حتى يمن الله تعالى بنعمة العلم على من يشاء.

ومن مقتضى القرآنية على هذه القاعدة:

- ١- قال الله العظيم سبحانه: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾^(١).
- ٢- وقال علام الغيوب سبحانه: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾^(٢).
- ٣- وقال الله القدير سبحانه: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾^(٣).

^(١) سورة الأحزاب الآية (٧٢).

^(٢) سورة الطق الآية (٥).

^(٣) سورة النحل الآية (٧٨).

- ٤- وقال الله سبحانه: ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾^(١).
- ٥- وقال الله الواحد الصمد سبحانه: ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾^(٢).
- ٦- وقال الله تعالى ذكره: ﴿الرحمان ﴿علم القرآن ﴿خلق الإنسان ﴿علمه البيان﴾^(٣).

القاعدة الثالثة:

- أبرز القرآن الكريم أنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلماء وصالحين وصفوا بالعلم ليقترن بهم فيه.
- ومن النصوص القرآنية عليها:
- ١- قال الله العليم سبحانه: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(٤).
- ٢- وقال الله سبحانه في قصة نوح: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾^(٥).
- ٣- وقال الله الحكيم العليم سبحانه في وصف يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾^(٦).

(١) سورة البقرة الآية (١٥١).

(٢) سورة الأنعام الآية (٩١).

(٣) سورة الرحمن الآية (١-٤).

(٤) سورة البقرة الآية (٣١).

(٥) سورة الأعراف الآية (٦٢).

(٦) سورة يوسف الآية (٦٨).

٤- وقال تعالى شأنه في وصف يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١).

٥- وقال الله العظيم سبحانه في وصف داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٢).

٦- وقال الله المجيد سبحانه في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾^(٣).

٧- وقال الله سبحانه في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^(٤).

٨- ووصف الله تعالى ذكره إسحاق عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه: ﴿وَأَنَا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٥).

٩- وقال الله تعالى في قصة لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ طَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٦).

(١) سورة يوسف الآية (٢٢).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥١).

(٣) سورة النمل الآية (٤٢).

(٤) سورة مريم الآية (٤٣).

(٥) سورة الحجر الآية (٥٣).

(٦) سورة الأنبياء الآية (٧٤).

١٠- وقال الله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١).

١١- وقال الله تعالى في الخضر عليه الصلاة والسلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢).

١٢- وقال الله تعالى في وصف طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٣).

٣ وقال الله سبحانه وتعالى في وصف بعض جلساء نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٤).

١٤- وقال الله تعالى شأنه في وصف بعض أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في معرض الحديث عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٥).

١٥- وقال الله سبحانه في علماء بني إسرائيل: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦).

(١) سورة القصص الآية (١٤).

(٢) سورة الكهف الآية (٦٥).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٧).

(٤) سورة النمل الآية (٤٠).

(٥) سورة محمد الآية (١٦).

(٦) سورة الشعراء الآية (١٩٧).

القاعدة الرابعة:

كما أبرز القرآن الكريم فضل العلم والعلماء ومكانتهما في مواضع متفرقة من القرآن سبق الحديث عن بعضها في المبحث الثاني والثالث.

القاعدة الخامسة:

قسم القرآن الحكيم العلم إلى قسمين رئيسين:

١- علم نافع (مشروع).

٢- علم غير نافع (ضار) وهو غير مشروع.

ومن النصوص القرآنية على هذه القاعدة:

١- قال الله القوي العزيز سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

٢- وقال الله الحكيم سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة الآية (١٠٢).

(٢) سورة يونس الآية (٥).

٣- وقال الله تعالى ذكره في وصف نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(١).

٤- وقال الله سبحانه وتعالى في وصف سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

٥- وقال الله الشكور سبحانه وتعالى في وصفه أيضاً عليه الصلاة والسلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٣).

٦- وقال الله تعالى شأنه: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٤).

٧- وقال ربنا العليم سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾^(٥).

٨- وقال الله تعالى ذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على لسان السجين الناجي: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) سورة يس الآية (٦٩).

(٢) سورة النمل الآية (١٦).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٨٠).

(٤) سورة الروم الآيات (٦-٧).

(٥) سورة يونس الآية (٧٩).

(٦) سورة يوسف الآية (٤٦).

٩- وقال الله تعالى في نفس القصة على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾^(١).

١٠- وقال الله سبحانه وتعالى في آخر مطاف القصة على لسانه أيضاً عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

القاعدة السادسة:

عَدَّ القرآن المبين طرائق ووسائل العلم والتعلم، وبين ما يعين عليها، وجعلها فيما يلي:

١- تقوى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى نكروه: ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ كُفْرُكُمْ إِنَّهُ سَعِيدٌ يَعْلَمُ السُّرُوءَ﴾. وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا لَهُ فِي سُنَّةِ مَوَاصِعَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: (١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٣)﴾.

٢- الدعاء، قال الله سبحانه وتعالى أمراً نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(٣).

٣- كثرة الاستغفار، قال الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٤).

^(١) سورة يوسف الآية (٥٥).

^(٢) سورة يوسف الآية (١٠١).

^(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

^(٤) سورة طه الآية (١١٤).

^(٥) سورة محمد الآية (١٩).

٤- تَعْلَمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، قَالَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(١).

٥- الحفظ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢).

٦- الفهم، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَصْفِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(٣).

٧- الاستنباط، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٤).

٨- السؤال، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿فَأَسْأَلُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

٩- رد العلم إلى العليم أو العالم، مع التصريح بعدم العلم إن لم يعلم: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى نَكَرَهُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٦).

(١) سورة الرحمن الآية (١-٢).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٩).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٧٩).

(٤) سورة النساء الآية (٨٣).

(٥) سورة النحل الآية (٤٣).

(٦) سورة الأنبياء الآية (٧).

(٧) سورة النساء الآية (٨٣).

وقالت الملائكة في قصة آدم عليهم السلام: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وقال الله العزيز الحميد سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢).

وقال الله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ما استفتى ملك حاشيته ومن حوله في رؤياه كان جوابهم: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال الله على لسان رسوله المصطفى الأمين عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ خَافِئًا﴾^(٤).

١٠ - الاستعانة بالقراءة، وبوسائل الكتابة كالقلم مثلاً؛ يقول الله العلي الأعلى سبحانه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(٥).

١١ - العناية بطلب الدليل، قال الله العلي الغفار سبحانه: ﴿تَبَوَّؤُنِي يَعْلَمُ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦)، وقال الله تعالى نكره: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ

^(١) سورة القدر الآية (٣٢).

^(٢) سورة المائدة الآية (١٠٩).

^(٣) سورة يوسف الآية (٤٤).

^(٤) سورة ص الآية (٦٩).

^(٥) سورة الطق الآيات (٣-٤).

^(٦) سورة الأنعام الآية (١٤٣).

فَتُخْرِجُوهُ لَنَا^(١)، وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَكْتَابُونَ كِتَابًا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ آثَارًا مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

١٢- مصاحبة أهل العلم والتأدب في خطابهم، وفي قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام أن موسى عليه السلام طلب من الخضر عليه السلام مصاحبته حتى يتعلم منه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا﴾^(٣).

القاعدة السابعة:

بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْآثَارَ الْمُرْتَبِئَةَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالنَتَائِجَ الْمَتَوَقَّعَةَ عَلَى أَهْلِهِ؛ لَتَكُونَ عِلَامَاتٌ هِدَايَةٌ إِلَى مَنْ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْحَقِيقِيُّونَ، وَفِرْقَانًا بَيْنَ مَنْ يَدْعِي الْعِلْمَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

فَكَانَتْ هَذِهِ الْآثَارُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَخَاصَّتِهِ:

١- الْإِتِّصَافُ بِالْإِيمَانِ، وَمِلَازِمَتُهُ لَوْصِفِ الْعِلْمِ: قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾^(٤).

٢- خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ فِي وَصْفِ الْعُلَمَاءِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥).

(١) سورة الأنعام الآية (١٤٨).

(٢) سورة الأحقاف الآية (٤).

(٣) سورة الكهف الآية (٦٦).

(٤) سورة الروم الآية (٥٦).

(٥) سورة فاطر الآية (٢٨).

٣- إخبأت القلوب لله تعالى: قال الله البصير الخبير سبحانه: ﴿وليعلم

الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾^(١).

٤- الإكثار من السجود والتسبيح والبكاء والخشوع: قال الله العليم سبحانه:

﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا

ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴿ويخرون للأذقان

يكون ويزيدهم خشوعا﴾^(٢).

٥- الاتصاف بالربانية: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين

بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾^(٣).

٦- "رسن في السلم: قال الله سبحانه وتعالى لما ذكر الآيات السبع

من الكتاب: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا

وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾^(٤).

٧- رؤية الحق والهداية إلى الصراط المستقيم: يقول الله الحي القيوم

سبحانه: ﴿ويزرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق

ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾^(٥).

(١) سورة الحج الآية (٥٤).

(٢) سورة الأسراء الآيات (١٠٧-١٠٩).

(٣) سورة آل عمران الآية (٧٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (٧).

(٥) سورة سبا الآية (٦).

٨- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب في ذلك: ففي قصة قارون قام العلماء ينكرون على من اغتر بحياة قارون ومتاعه، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^(١).

٩- أن يعلمه الله ما لم يعلمه غيره: في قصة أصحاب الكهف لما اختلف في عدتهم، قال الله العليم الحكيم سبحانه: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢)، وعلى أحد قولي أهل التفسير في علم تأويل المتشابهات من الكتاب أن الراسخين في العلم يعلمون تأويلها بتعليم الله تعالى لهم، قال تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣) فنقرأ بلا وقف.

القاعدة الثامنة:

كرر القرآن الحكيم التحذير - بأسلوب مباشر وفي كثير من الأحيان بأسلوب غير مباشر - من محاذير عدة أثناء طلب العلم والانتساب إليه، أجمالها في الآية:

١- الحذر من القول على الله تعالى بغير علم: قال الله ربنا الحليم سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ

(١) سورة القصص الآية (٨٠).

(٢) سورة الكهف الآية (٢٢).

(٣) سورة آل عمران الآية (٧).

كان عنه مسؤولاً^(١). وقال الله القوي العزيز سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ونكر الله سبحانه وتعالى أن وراء هذه الآفة الكبرى الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

٢- الحذر ممن لا يعلمون، وعدم اتباعهم: في وصية الله تعالى لنبيه موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وقال الله علام الغيوب سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وقد أكثر القرآن الكريم من نكر الذين لا يعلمون، وأنهم أكثر الناس لنحزهم، فآية: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تكررت كثيراً في سورة

(١) سورة الإسراء الآية (٣٦).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣٣).

(٣) سورة البقرة الآية (١٦٩).

(٤) سورة يونس الآية (٨٩).

(٥) سورة الجاثية الآية (١٨).

الأنعام (٣٧)، والأعراف (١٣١)، والأنفال (٣٤)، ويونس عليه الصلاة والسلام (٥٥)، والقصاص (١٣، ٥٧)، والزمر (٤٩)، والدخان (٣٩)، والطور (٤٧).

كما بين الله سبحانه وتعالى فئاما وأنواعا من هؤلاء الجاهلين الذين لا يعلمون؛ منهم:

أ- الأعراب (سكان البوادي): قال الله الخبير البصير سبحانه: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(١).

ب- المشركون: قال الله العزيز الحكيم سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ج- المنافقون: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).
د- من يطلب المعجزات تعجيزاً، وهو لا يريد الإيمان بها: قال الله الأحد الصمد سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة الآية (٩٧).

(٢) سورة التوبة الآية (٦).

(٣) سورة المنافقون الآية (٨).

(٤) سورة البقرة الآية (١١٨).

هـ- اليهود: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(١).

٣- الحذر ممن أضله الله على علم بعد أن اتخذ إلهه هواه: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَاهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٢).

٤- الحذر من الفرح - بغير الحق - بما عند المرء من العلم، ونسبة ذلك إلى نفسه: يقول الله تعالى ذكره عن أمم سابقة: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٣).

ويقول الإنسان الذي لا ينسب الخير والنعمة إلى المنعم الحقيقي بها، وهو الله تعالى شأنه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عِلْمٌ عَلَيْهِ﴾^(٤)، وكذلك ما قال قارون من قبل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٥)، ولا بد أن يوقن أحدهما مهما أوتي من العلم أنه داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦)، وأن يعلم ما قاله الله سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٧).

٥- الحذر من التأخر أو التخلف عن العلم والتعلم حتى سن متأخرة: قال الله

(١) سورة البقرة الآية (٧٨).

(٢) سورة الجاثية الآية (٢٣).

(٣) سورة غفر الآية (٨٣).

(٤) سورة الزمر الآية (٤٩).

(٥) سورة القصص الآية (٧٨).

(٦) سورة الإسراء الآية (٨٥).

(٧) سورة يوسف الآية (٧٦).

التقدير سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُودِئُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(١)، وقال سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿لَكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٢).

٦- الحذر من الخوض فيما ستر الله تعالى عنا علمه، والتسليم بأنه مما استأثر بعلمه سبحانه: قال الله العظيم سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوَّلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مَتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْتِفَاقٍ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَتَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾^(٣).

وقال الله القوي العزيز سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَا يَخَافُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٤).

وقال الله سبحانه وتعالى في أربع آيات من كتابه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥) (البقرة: ٢١٦، ٢٣٢)، وآل عمران (٦٦)، والنور (١٩). ويقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥). ويقول الله تعالى

(١) سورة النحل الآية (٧٠).

(٢) سورة الحج الآية (٥).

(٣) سورة التوبة الآية (١٠١).

(٤) سورة الأنفال الآية (٦٠).

(٥) سورة النحل الآية (٨).

شأنه عن بعض أفعاله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وقال الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢). ونحن مع هذا كله لا نستطيع ولن نستطيع أن نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، ولن نحيط به سبحانه علماً، قال الله تعالى شأنه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣)، وقال الله العلي سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

٧- الحذر من النتائج المترتبة على عدم العلم، والإعراض عنه: قال الله العزيز الحميد سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، . يقول الله القادر سبحانه: ﴿وَطَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، وقال الرب تبارك وتعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٢).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٤).

(٣) سورة يس الآية (٣٦).

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٥) سورة الروم الآية (٥٩).

(٦) سورة التوبة الآية (٩٣).

(٧) سورة الأنبياء الآية (٢٤).

القاعدة التاسعة:

يبصرنا القرآن المجيد بأهمية التوازن بين العلم والعمل، وذلك بالأمر الآتية:

١- بين القرآن الكريم أهمية العلم - كما تقدّم بيانه من قبل - كما بين لنا أهمية العمل في نصوص قرآنية؛ منها: قوله تعالى شأنه: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقول الرب الشكور سبحانه: ﴿اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٢).

٢- جمع الله تعالى بينهما في مواضع؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ إِنَّ لَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ذُرِّيَّتًا مَّا كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ﴾^(١٠).

٣- قد يطلق لفظ العلم على العمل؛ لأن القيام بالعمل علم، وطلب العلم عمل، يقول الله البصير سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

(١) سورة التوبة الآية (١٠٥).

(٢) سورة سبأ الآية (١٣).

(٣) سورة فلطر الآية (٢٨).

(٤) سورة محمد الآية (١٩).

والذين لا يعلمون^(١). وقال الله سبحانه وتعالى في وصف نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿وإنه لنوع علم لما علمناه﴾^(٢).

٤- اهتم القرآن الكريم بأمرين متعلقين بالعلم والعمل، فأما في العلم فلا بد أن يكون نافعا (غير ضار) - كما مر معنا سابقا - والعمل لا بد أن يكون صالحا: قال الله سبحانه وتعالى في الكلام عن السحر: ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾^(٣)، وفي قصة نبيه نوح عليه الصلاة والسلام مع ابنه العاق أخبره الله تعالى ذكره بأنه: ﴿ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾^(٤). والخير كل الخير في الجمع بينهما، والعمل بهما جميعا.

٥- تناول القرآن الكريم العتاب والترهيب لمن لم يعمل بعلمه، أو يعمل بغير علم: قال الله العزيز سبحانه: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تقولون الكتاب أفلا تعقلون﴾^(٥)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله

^(١) سورة الزمر الآية (٩).

^(٢) سورة يوسف الآية (٦٨).

^(٣) سورة البقرة الآية (١٠٢).

^(٤) سورة هود الآية (٤٦).

^(٥) سورة البقرة الآية (٤٤).

وكيلاً^(١)، وقال الله تعالى ذكره: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين^(٢)، وقال الرب
الأعلى سبحانه: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد
الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾^(٣)، وقال الله العزيز الحكيم
سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
أماناتكم وأنتم تعلمون﴾^(٤)، وقال الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما
لا تفعلون^(٥)، وقال الله تعالى محذراً من النصارى الضالين المضلين
الذين يعملون بلا علم: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأصلوا
كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾^(٦)، وقال الله العليم سبحانه: ﴿ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾^(٧).

٦- يفهم من بعض آيات الكتاب الكريم أن العلم يقتضي العمل؛ فقد أخبر الله

(١) سورة النساء الآية (٨١).

(٢) سورة الفاتحة الآيات (٦-٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٠٤).

(٤) سورة الأنفال الآية (٢٧).

(٥) سورة الصف الآيات (٢-٣).

(٦) سورة المائدة الآية (٧٧).

(٧) سورة الحج الآية (٣).

المبحث الخامس

نماذج من أعلام علماء الإسلام

لا شك أن الأمة الإسلامية على مر العصور وكر الدهور زاخرة بالعلماء الأعلام الذين طلبوا العلم لوجه الله تعالى، واجتهدوا في وجوه إتقانه، وأبدعوا في نشره وتعليمه وتبليغه، وجاهدوا في الله تعالى حتى هداهم إلى سبيله سبحانه المفضية إلى الجنة، وعبدوا الله تعالى حتى أتاهم اليقين، وتركوا لنا آثارا محموددة، وتراثا كبيرا، وكتبنا نافعة، وعلمنا زائرا، فرحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي هذا المبحث أحاول أن أنتقي من علماء الإسلام بعض الأعلام الذين لهم دأب في علوم كثيرة على مستوى الأمة، فكأن الواحد منهم (موسوعة) في فنون مختلفة متنوعة، كما أن هؤلاء الأعلام - في الغالب - شاركوا في إصلاح هذه الأمة على مستوى الدولة أو الأفراد، بغيتهم رجاء ما عند الله تعالى من الأجر الجزيل والظفر بالحسنى والزيادة عليها. حشرنا الله تعالى معهم أجمعين. آمين.

الأنموذج الأول:

الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بالشعب أثناء الحصار بمكة قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين شهرا، وأخذ عن عمر وعلي ومعاذ والعباس - والده - وأبي وزيد، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أشهر من أخذ عنه: مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير، وطاووس بن

كيمان وعكرمة.

هو حبر الأمة، وإمام التفسير، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح، وابن عباس هو ابن خالة خالد بن الوليد. دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين»^(١).

قال ابن أبي مليكة^(٢) رحمه الله تعالى: (صحب ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل، وقرأ: ﴿أوجأت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾، فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي معاوية بن أبي سفيان: أنت على ملة علي؟ قلت: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال طلوس رحمه الله تعالى: (ما رأيت أحدا أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس).

وقال عمر لابن عباس رضي الله عنهما: (لقد علمت علما ما علمناه). وكان عمر يستشير في الأمر إذا أمه، ويقول: (غص غواص). قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس).

(١) حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده (٢٦٦/١، ٣١٤).

(٢) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة - بالتصغير - ابن عبد الله بن جعدان، يقال: اسم أبي مليكة: زهير التيمي، المدني، أترك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومئة. انظر: تقريب التهذيب (٣٤٧٧).

قال عكرمة رحمه الله تعالى: سمعت معاوية يقول لي: (مولاك - والله - أفقه من مات ومن عاش).

وعن مجاهد رحمه الله أنه قال: (كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه). وابن عباس رضي الله عنهما قد فات الناس بخصال؛ بعلم ما سبق، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وكان يحدث القوم هذه العشية كلها في المغازي، والأخرى كلها في النسب، والتي تليها كلها في الشعر. فله دره رضي الله عنه.

قال طاووس: (أدرت نحوا من خمس مئة من الصحابة إذا ذكروا ابن عباس، فخالقوه، فلم يزل يقرهم حتى ينتهوا إلى قوله).

وخطب ابن عباس - وهو أمير على الحاج - فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فكان بعض من حضر يقول: (ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت).

وكان رضي الله عنه أسفل من عينيه مثل الشراك البالي من كثرة البكاء. ونزل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه على ابن عباس رضي الله عنهما بالبصرة، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، وكل ما في البيت.

وقيل فيه بعد دفنه: (اليوم مات رباني هذه الأمة).

مات رضي الله عنه بالطائف سنة (٦٨هـ)، أو (٦٧هـ)، بعد أن أضر في آخر حياته، وعاش رضي الله عنه وأرضاه إحدى وسبعين سنة، وروى

عن رسول الله ﷺ (١٦٦٠) حديثاً^(١).

الأمومة الثاني:

أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم.

ولد سنة (١١٨هـ)، وبدأ طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، أخذ عن بقايا للتابعين، وأكثر من الترحال في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإتق على الإخوان في الله تعالى، وتجهيزهم معه في الحج. من أبرز شيوخه: عاصم الأحول وحميد الطويل وهشام بن عروة والأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري وموسى بن عقبة والأوزاعي وأبو حنيفة والسفيانان والحمدان ومالك والليث بن سعد وغيرهم كثير.

وحدث عنه خلق كثير؛ بعضهم من طبقة شيوخه كالثوري وعبد الرحمن بن مهدي، وحدث عنه: أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق بن همام ويحيى القطن ويحيى بن معين، وغيرهم ممن لا يحصون.

ارتحل إلى الحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وحدث بأماكن متعددة. وكان رحمه الله تعالى يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟!

وعطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أيش يقول الرجل

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣/٢٣١-٢٥٩). وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٣٠) وما بعدها. وابن كثير، البداية والنهاية (٨/٢٩٥) وما بعدها.

إذا عطس؟ قال: الحمد لله. فقال له: يرحمك الله.

وجمع رحمه الله تعالى الحديث والفقه والعربية وأيام الناس، والشجاعة والسخاء والتجارة والمحبة عند الفرق.

قدم هارون الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم حر اسان قدم. فقالت: هذا - والله - الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشرط وأعوان.

وحدث بعض أصحابه رحمه الله تعالى عنه فقالوا: إنهم محبوبوه من مصر إلى مكة، فكان يطعمهم أحسن الطعام، وهو صائم.

... إلى ابن المبارك، رحمه الله تعالى، فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قصاءه؟ قال سبع مئة درهم. وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة الاف درهم، فأرجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت. فكتب له عبد الله بن المبارك: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضاً قد فني، فأجز له ما سبق به قلبي.

وقال الفضيل بن عياض لابن المبارك رحمهما الله تعالى: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، فقال الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

وعوتب ابن المبارك رحمه الله تعالى فيما يفرق من المال في البلدان نون بلده، فقال: (إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث،

فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعانهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم).

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى: (الأئمة أربعة: سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك).

وكان يقال عنه رحمه الله: إنه أنصح الناس للأمة، وقيل عنه: إنه إمام المسلمين أجمعين في عصره وزمانه.

ولما مات ابن المبارك رحمه الله تعالى قال هارون الرشيد: (مات سيد العلماء).

وقيل: إذا رأيت رجلاً يعزز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام. وقيل له رحمه الله تعالى: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد.

مات رحمه الله تعالى بالعراق في شهر رمضان سحراً سنة (١٨١هـ)، وعاش (٦٣) سنة^(١).

النموذج الثالث:

العالم الجليل السيد أبو الطيب صديق بن حسن بن علي خان الحسيني البخاري القنوجي.

ولد في ولاية في شمال الهند عام (١٢٤٨هـ)، مات أبوه وعمره ست سنوات.

(١) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (١٥٢/١٠) وما بعدها. والذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨) وما بعدها. وابن الجوزي، صفة الصفوة (١٣٤/٤) وما بعدها.

يقول رحمه الله: (لما بلغت السابعة من عمري، وكان المسجد قريبا مني البيت، وأنا في نوم هادئ، فكانت أُمِّي - رحمها الله - توقظني وتوضئني وتبعثني إلى المسجد، ولم تسمح أبدا أن أصلي في البيت).

بدأ دراسته في بلدته قنوج، ثم سافر إلى مدن كثيرة طلبا للعلم. فدرس الفقه والعربية وأصول الفقه والحديث وكتب الأدب والتفسير.

من أشهر شيوخه: المحدث عبد الحق بن فضل الله البنا رسي ومحمد يعقوب الدهلوي ويحيى بن محمد الحازمي والمفتي محمد صدر الدين.

تزوج بزوجتين؛ الأخرى منهما: ملكة بهوفال بالهند (شاه جيهان بيغم)، ولقب بأمير الملك. حاول بعضهم أن يدس له السم في الدسم ليقتله وزوجته الملكة، لكن الله عصمهما ونجاهما، وكاد آخرون به حتى عزل من منصبه بعد (١٤) سنة قضاها في منصب الإمارة، ومنعوه من مزاولة أي عمل حكومي، ثم أصابه مرض الاستسقاء، وردت إليه الحكومة لقب (أمير الملك) وقد فارق الدنيا.

كان ذكيا متقد الذهن، متواضعا، مشغول الفكر بالمطالعة والتأليف، حتى كان في بعض الأحيان لا يميز بين أنواع الطعام المختلفة، وكان يجاهر بالحق، لا يخشى في الله تعالى لومة لائم، وكان كثيرا ما يجهر بأعلى صوته بحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١). وحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٢)، وحديث: «من رأى منكم منكرا؛ فليغيره بيده...»^(٣).

(١) حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده (٦٦/٥).

(٢) حديث صحيح، رواه أبو داود في سننه (٥١٤/٤)، والترمذي في سننه (٤٧١/٤)، وقال: (حديث حسن).

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٦٩/١).

مات رحمه الله تعالى يوم الأربعاء سنة (١٣٠٧هـ)، وصلى عليه خلق كثير في اليوم الثاني.

وقد صدر الأمر من الحكومة الإنجليزية المستعمرة أن يشيع ويدفن بتشريف لائق بالأمراء والأعيان، لكنه أوصى بأن يدفن على طريقة السنة، فنفذت وصيته عليه رحمة الله^(١).

الأنموذج الرابع:

الإمام الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز.

ولد بالرياض عام (١٣٠٣هـ)، وحفظ القرآن الكريم مبكراً، وأصيب بمرض في عينيه عام (١٣٤٦هـ)، ثم ذهب جميع بصره عام (١٣٥٠هـ)، وعمره عشرون سنة تقريباً.

له من الذرية ثمانية. كان متواضعاً غاية في التواضع، حسن الهيئة، ولا يتكلف في ذلك أبداً، له هبة في قلوب العامة والأمراء والعلماء.

امتاز رحمه الله تعالى بقوة الحافظة؛ فلا ينسى الأسماء والأحاديث. أصبح أكبر مفتياً في الجزيرة العربية، بل على مستوى العالم الإسلامي.

كان زاهداً في الدنيا، معيناً للفقراء، يكثر من الصيام وقيام الليل، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مصلحاً، محتسباً، كان صانع اللجة والحديث، وكان حليماً صبوراً، وتولى القضاء برهة من الزمن بمدينة الدلم بنجد. دخل

(١) انظر: أختار جمال لقمان، السيد صديق حسن القنوجي، من (ص ٢٥) وما بعدها.
وأباً نصر سيد محمد علي، متأثر الصديقي.

عليه رحمه الله تعالى رجل مجلس القضاء في الدلم فأكثر السباب، وسب الشيخ وشتمه، والشيخ لا يرد عليه، ثم إن هذا الرجل توفي، والشيخ ابن باز في الحج بمكة، فلم يصل عليه إمام الجامع ابن هليل؛ لأنه شتم الشيخ ابن باز، وأمر الناس أن يصلوا عليه، فلما قدم الشيخ ابن باز علم بالأمر ترحم على الرجل، وخطأ الإمام ابن هليل، ثم طلب أن يدلوه على قبر الرجل. فذهب فصرى عليه وترحم عليه ودعا له - كما هي السنة لمن لم يدرك الصلاة على الجنابة.

وكان الشيخ سخيا جدا.

من أبرز شيوخه: محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، وسعد بن حمد بن علي بن عتيق، وحمد بن فارس بن محمد بن قارس، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

ومن أشهر تلامذته: راشد بن صالح بن خنين وعبد الله بن

المسعري، وعبد الله بن حسن بن قعود، وعبد الرحمن بن ناصر القوي

ألف الرسائل للأمة جميعا، وقد طبعت ونشرت بلغات كثيرة.

كانت له رحمه الله تعالى جهود كثيرة في الإصلاح في البلاد؛ فشارك في القضاء، والتدريس بالمعاهد والكليات والمساجد، بكل مكان ينزل فيه، أو مدينة يرحل إليها، تولى إدارة ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة، وعمل رئيسا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، كان يكفل كثيرا من الدعاة في بلاد العالم كله على حسابه الخاص، يشارك في إلقاء الدروس والمحاضرات، والتعليق على الندوات، ويشارك في الإجابة على الفتيا عبر الإذاعة والمساجد وأيام الحج والمواسم. وكان يشارك في اجتماعات ولقاءات

علماء البلاد الإسلامية بمكة والمدينة.
كان له زاهد يومي لا يفتر عنه من الإنكار النبوية، وكان يلحظ من يحدثه
إن الشيخ رحمه الله تعالى كان يستمع إليه، وهو يسبح أو يستغفر.
رحمه الله تعالى متأثراً بمرض السرطان عام (١٤٢٠هـ)، وصلي
عليه بالمسجد الحرام، ودفن بمكة فرحمه الله تعالى عليه^(١).
وبعد؛ فهذه النماذج لبعض علماء الإسلام في العصر القديم والحديث،
أردت أن تحيي الأمل في هذه الأمة بوجود أمثال هؤلاء النوابغ المهتمين
بالعلم، المتواصلين بأهل العلم، الساعين إلى الإصلاح في الأرض. جمعنا الله
تعالى بهم أجمعين...

(١) انظر: لرحمة: عبد الرحمن بن يوسف، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن
باز (ص ٢٦-٤٦٠). وانظر: الشثري: د. حمد ابن إبراهيم، الإبريزية في التسعين
البازية (ص ١٩-١٩٢).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛

فهذه آخر مرحلة أضع فيها قلمي - بإذن الله تعالى - راجيا الله الكريم
المنان سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه
الكريم، وأن يثبتنا على الحق المبين والصراط المستقيم، وقد من خلال البحث
ما سعى إليه الباحث من خلال النتائج والآثار التالية:

١- تعريف العلم لغة واصطلاحاً وتعريفاً يقربه إلى الأذهان، وما هي
استعمالاته في القرآن الكريم.

٢- بيان أنواع العلم وأقسامه من حيثيات ثمانية.

٣- بيان منزلة العلم الرفيعة في الإسلام، وأن العلم مطلب من أجل
الأعمال الصالحة في ميزان الإسلام.

٤- بيان مكانة العلماء العريقة في الإسلام، كيف لا، وهم ورثة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام.

٥- استخلص الباحث تسعا من القواعد والأصول العلمية من القرآن الكريم
لها أثرها على العلم والعلماء والحياة.

٦- اختار الباحث أربعة نماذج من علماء الإسلام قديما وحديثا، فعرض شيئا
من سيرهم، وهم الذين أسهموا في نشر العلم وتبليغه للأمة، وسعوا في
الأرض إصلاحا احتسابا لوجه الله الكريم المنان سبحانه.

وعند الختام أوصي بال العناية والاهتمام بهذا الموضوع، كما اهتم
الإسلام به، وذلك بالدراسة العميقة المتخصصة في فروع العلم بأقسامه
المتعددة، كما أوصي بالعناية بجيل الشباب الصاعد، وتربيتهم التربية











المتكاملة؛ ليكون منهم العلماء الأفاضل.

وأخيراً؛ فأوصي بتشجيع نشر العلم وتبليغه، ومساندة أهله في مثل هذه المؤتمرات والندوات.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والله تعالى اعلم وأعلم

المراجع

- القرآن الكريم. 
- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف. البحر المحيط. ت: عادل عبد الموجود وآخرين. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٣هـ. 
- أبو نصر: سيد محمد علي حسن. مآثر الصديقي. مطبعة نول كشور. لكتو. الهند. عام ١٣٤٣هـ. 
- ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن. صفة الصفوة. ت: إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام. دار الكتب العلمية. بيروت. 
- ابن عاشور: محمد الطاهر. التحرير والتنوير. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. 
- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. جامع بيان العلم وفضله. ت: أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي. الدمام. الطبعة الرابعة. ١٤١٩هـ. 
- ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني. السنن. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة البابي الحلبي. مصر. بدون. 
- الألباني: محمد ناصر الدين. تخريج أحاديث مشككة الفقر. المكتب الإسلامي. بيروت. 
- البخاري: محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. ت: محب الدين الخطيب وآخرين. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. المكتب السلفي. مصر. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ. 
- البغوي: الحسين بن مسعود. شرح السنة. ت: شعيب الأرناؤوط 

- وزهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. السنن. ت: أحمد محمد شاكر وآخرين. تصوير المكتبة التجارية.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد. الصحاح. ت: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٠٤هـ.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. اقتضاء العلم العمل. ت: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. بيروت.
- الدامغاني: الحسين بن محمد. الوجوه والنظائر. ت: عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثانية. ١٩٧٧م.
- الدمشقي: إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت. الطبعة الأولى. ١٣٨٦هـ.
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. ت: شعيب الأرناؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة. الطبعة السابعة. ١٤١٠هـ.
- الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل. مفردات ألفاظ القرآن. ت: صفوان الداوودي. دار القلم. دمشق. الطبعة الثانية. ١٤١٨هـ.
- الرحمة: عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن. الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز. الطبعة الأولى. ١٤١٩هـ.
- السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث. السنن. ت: عزت الدعاس وعادل السيد. طبعة دار الحديث. بيروت. الطبعة الأولى. ١٣١٩هـ.

- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. ت: د. محمد التونجي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ.
- السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار الفكر. بيروت. ١٤١٤هـ.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي. الموافقات. ت: مشهور سلمان. دار ابن عفان. الخبر. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ.
- الشثري: د. حمد بن إبراهيم بن عبد العزيز. الإبريزية في التسعين البازية. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ.
- الشيباني: أحمد بن محمد بن حنبل. المسند. المكتب الإسلامي. بيروت.
- الطبراني: سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤١٦هـ.
- الطبراني: سليمان بن أحمد. المعجم الصغير. بدون.
- الطبري: محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل آي القرآن. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٢هـ.
- العسقلاني: أحمد بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٣٨٨هـ.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد. إحياء علوم الدين. دار الخير. دمشق. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ.
- الغزالي: عادل الغزالي. دار ابن الجوزي. الدمام. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ.

